الحكام يلعبون بالنار والشعوب تحترق !

محمود عبد المنعم مراد

التحرير

لا أظنى أضيف جديدا اذا قلت ، ان أحوال العالم العربى والاسلامى قد بلغت الآن من السوء والفوضى والضعف والانقسام ، مالم تبلغه فى أى وقت مضى طوال القرون الأربعة عشر الماضية . هذا فى الوقت الذى أنعم الله فيه على معظم هذه الدول بأكبر قدر من الثراء عرفته فى تاريخها . وإنما الغنى والضعف فى عالمنا الاسلامى والعربى أصبحا صنوين متلازمين ، كلما زادنا الله غنى ، ازددنا ضعفا وانقساما وتخلفا . وليس هذا من طبيعة الأمور فى شىء ، الا أن تكون النعمة قد أفسدتنا ، والثراء جعلنا نتخبط فى غير هدى . فما هذا الذى يحدث فى عالمنا ويجعلنا أضحوكة العالمين ؟

النار تشتعل فى العراق وايران ، وتمتد ألسنتها الى حدود الكويت ، ولايعلم أحد كيف بدأت الحرب ولاكيف تسير ، ولاكيف تنتهى . وعم الخراب الدولتين الاسلاميتين وخسرت كل منهما مصادر الثروة ودماء الأبرياء الذين لايملكون من أمرهم شيئا . والقوى المتصارعة فى لبنان لاتكف عن قتل بعضها بعضا ، والأرواح تزهق فى سوريا كل يوم ، فى صراع لايخمد بين الحكام والمحكومين ، وبيوت الكثيرون من الطيارين والضباط والجنود الليبيين فى حرب غير مفهومة يدفعون اليها دفعا فى تشاد ، وقد يدفعون قريبا إلى دول افريقية أخرى بالاضافة إلى مايقومون به من تحرشات جديدة على حدود تونس .

وبجانب هذه الحروب الساخنة المتعرة ، لاتكف أجهزة الاعلام العربية عن اتهام بعضها بعضا ، وخوض حرب كلامية لايفهم الناس منها شيئا ، وفى وسط هذا العبث والفوضى والجنون الذى ليست له سابقة ، يتحدثون عن عقد مؤتمر للقمة ، يعارضه البعض ، ويؤيده البعض ، ويقف آخرون صامتين لاتعرف لهم رأيا . وهم سيتحدثون ، وماذا ينتظرون من اجتماع يعقد بين خصوم متحاربين بالسلاح واللسان . الله أعلم !

وبجانب الأخوة الأعداء المتحاربين ، يقف كثير من الحكام العرب المرتجفين ، لايعلمون ماذا يصنعون . سوى تبديد الأموال فى شراء السلاح ، وتأمين الحدود وتبديد الخوف الذى لن يبدد .

وإنما أصبحت بعض الدول العربية قوى كبرى تريد أن تسيطر على العالم . فصدام حسين كان يجهد لصنع القنبلة الذرية ، حتى ضربت ايران منشآته الذرية وخربتها ، وأخرت تحقيق حلمه . والعقيد القذافى يستعد للسفر إلى فرنسا ، للحصول على قنبلة ذرية . وأين سيلقيها ؟ لاأحد يعلم ، فهو يهدد بالقضاء على جميع القوى العالمية ، وينادى بالتطوع لتكوين جيش يغزو به العالم ، وهو الذى حاول العدوان على السودان وعلى مصر وعلى تونس ، وعلى مالطة . وعلى الغرب عن طريق البوليزاريو ، وباءت محاولاته كلها بالفشل الذريع الخزى . ولكنه لايستطيع أن يكف عن ألاعيبه البهلوانية الطفولية ، يريد أن يكون أطول من قامته ، وأقوى من ضعفه ، وأن

صدام حسين

يكون حديث الناس فى كل مكان ، وبأيه من حديث تردده الألسن .

والقاسم المشترك الأعظم بين كل هذه الأنظمة العربية العاثرة فى بحور الدم والخرائب ، أنها كلها تحكم شعوبها حكما فرديا مطلقا ، لاتملك فيه الشعوب حق التعبير عن آرائها . فليس من المعقول أن يكون الشعب العراقى أو الشعب السورى أو الشعب الليبى ، راضيا عما يفعله صدام حسين ومايفترفه حافظ الأسد ، ومايأتيه معمر القذافى من أعمال جنونية . انما هى كلها أطماع أفراد مرضى بحب السلطة ، وممارسة القهر والطغيان ، وجنون العظمة ، انهم يبددون ثروات بلادهم ، ويريقون دماء شعوبهم ، ارضاء للغرائز الدنيا التى تحركهم وتحكم تصرفاتهم .

وهذا كان لابد من أن تسود الحرية والديموقراطية ، فى هذه الدول ، حتى يمكن أن تستقيم الأحوال ، وتتوحد الكلمة ، ويكون للتضامن معنى .

وما القطيعة بين هذه الدول وبين مصر ، الا نتيجة لاختلاف النظم . وليس من المعقول أن يستمر هذا اللامعقول فى العالم العربى والاسلامى . سيأتى يوم قريب ، تنتصر فيه كلمة الشعوب ، وتتولى أمورها بنفسها ، وتختار من بينها من يحكمها . وعند ذاك ، نستطيع أن نأمل فى قيام عهد جديد تتصافح فيه الأيدى وتتصافى فيه القلوب ، ويستمع فيه العرب والمسلمون بالخير الذى وهبه الله لهم ويستخدمونه فى التعمير والبناء والتقدم ، بدلا من الهدم وسفك الدماء ، وكل ليل له آخر !

تشغيل الخريجين

لم أغتبط بقرار صدر فى الأسبوع الماضى ، قدر اغتباطى بالقرار الخاص باعادة البحث فى سياسة تشغيل الخريجين بالجملة ، عن طريق ادارة القوى العاملة ، وتوزيعهم كيفما اتفق ، على المصالح والدواوين وشركات القطاع العام ، دون أن تكون فى حاجة اليهم . ولقد كتبت وكتب الكثيرون غيرى مرات ومرات ، نستهجن أن يتم ذلك ، بينما نحن الآن نريد أن نحيا حياة جديدة ، ونبنى بلادنا من جديد ، فى ظل الحرية والانفتاح ، ضاربين صفحا عن مخلفات عهد ولى ، وسياسات عشوائية ، ظاهرها الحق ، وباطنها الباطل .

ولست بطبيعة الحال أجد لذة أو سعادة فى أن يتخرج الألوف فى الجامعة كل عام ، فلا يجدوا لهم عملا يؤدونه ، أو مصدرا للرزق يعيشون منه . ولست أرمى إلى اغلاق أبواب الجامعات ، فلا يتخرج فيها أحد ، عملا بالمثل الدارج القائل « بأن الباب الذى يجئ منه الريح ، نغلقه ونستريح » . ولكن الذى أرمى اليه ، هو أن يعمل كل خريج فى المجال الذى تخصص فيه ، بقرار منه هو ، لابقرار يصدر اليه من الحكومة ، وبطبيعة الحال لايمكن للخريجين جميعا أن يقرروا العمل هنا وهناك ، فتستجيب لهم السلطات ، ولكنى أقصد أن يحاولوا ويطرقوا الأبواب ، ويبحثوا حتى يصلوا . أريد من كل شاب أن يبذل جهده فى الحصول على العمل الذى يناسبه ، فى الداخل أو فى الخارج ، فى هذا البلد أو ذاك . أريد من أجيالنا الجديدة أن تتعلم الكفاح ، وتتدرب على قوة الارادة ، وتحب السعى الجاد ، حتى يكون لحياتهم معنى ولذة . أما أن يتسلموا شهادات تخرجهم ، ويلزموا بيوتهم حتى تصلهم خطابات التعيين ، فتلك أمر غريب لاأعرف له مثيلا فى أى بلد من بلاد العالم .

وعندما تخرجت فى الجامعة ، كان مجلس الوزراء فى ذلك الحين قد اتخذ قرارا بعدم تعيين أحد فى أية وظيفة من وظائف الحكومة ، باستثناءات قليلة تعرض على مجلس الوزراء نفسه ! وازاء هذا الموقف ، وجدتنى مضطرا الى أن أبحث فى عن عمل فى أى مكان ، فطرقت جميع الأبواب ، واستنفدت جميع الحيل ، واضطررت الى أن أنشر اعلانا فى احدى الصحف ، عن طلب وظيفة مدرس باحدى المدارس الخاصة ، على أن تكون بالقاهرة ، ووصفنى بعض الردود ، وكان من بينها خطاب عرض فيه صاحبه وظيفة مدرس فى شرق الكوم ، بمرتب قدره ثلاثة جنيهات فى الشهر ، ولم أيأس ، واستطعت بعد كفاح طويل أن أعمل مدرسا فى الاسكندرية ، حيث كانت مرمى لقنابل الألمانية والايطالية فى الحرب العالمية الثانية ، بمرتب قدره سبعة جنيهات شهريا ، أعيش منها فى غرفة فوق السطوح ، تنهال عليها الشظايا كل ليلة ، وأنا نائم مرتاح البال ، أنعم بالأحلام السعيدة . ومضت الأيام وتقلبت فى كثير من الوظائف والمهن والأعمال ، ومضت حياتى على وجه قد لايرضيه أحد لنفسه ، وأنا به جد سعيد ، وذكرياته تبعث السرور فى نفسى .

وليس معنى ذلك أنى أريد لشبابنا الجديد مثل هذه المرحلة ، ولكنى أود لهم أن يجربوا لذة

السعي ، وقوة الارادة ، واعمال الفكر فى تحديد مستقبلهم .

ثم ان هناك تالفا ملحوظا فى سياسة تعيين الخريجين ، يدركها الكثيرون منا بالتجربة العملية . فبجانب عشرات الألوف من الموظفين الذين لايجدون عملا يؤدونه سوى التوقيع على كشوف الحضور والانصراف ، نجد أماكن ووظائف تحتاج إلى أضعاف القائمين بها ، وخاصة فيما يتعلق بالخدمات التى تؤدى للجماهير . وجرب أن تحدد رحلة سيارتك ، وستجد نفسك مضطرا الى الوقوف ثلاث أو أربع ساعات فى طابور طويل أمام موظف واحد يستخرج للجميع شهادات بمخالفات سياراتهم . ولاأزيد أن أحدثك عن طوابير الجمعيات الاستهلاكية ، ودافعى اشتراكات التليفون ، وما الى ذلك من خدمات تحتاج الى عدد أكبر بكثير ممن تخصصوا لها . والمهم أن نبدأ باعادة النظر فى هذه السياسة ، على ضوء الواقع الجديد ، والظروف الجديدة ، والجو الجديد الذى أصبح مغايرا تماما لما كانت عليه الأحوال ، عندما تقرر تشغيل الخريجين بالجملة .

الدمعة الحزينة

ظلت الدمعة الحزينة تترقرق فى عينى الفنانة صفاء أبو السعود خمسة عشر يوما كاملة ، لاهى تريد أن تجف ، ولاتريد أن تنهمر ! وظل المشاهدون لهذا المسلسل التليفزيونى العجيب أكثر من أسبوعين ، ينتظرون ما اذا كانت الفنانة صفاء ستتزوج من نجيب ، أو تنفض يدها من هذا المطمع ، حفظا لكرامتها وكبريائها وخاصة أنها قادمة من الريف الذى يقيم وزنا للكرامة والكبرياء ، ويغلف عاطفة الحب بين الرجل والمرأة بغلاف من الوقار والتحشم ، وحشية العيب والفضيحة .

وكان من الممكن أن تجف الدمعة فى حلقة واحدة ، ولكننا اعتدنا أن نمط فى الحلقات ،

صفاء أبو السعود

دستيوفسكى

حتى لو أدى ذلك إلى أن نظل نتفرج على شخص أو شخصين يجلسان ولاينجدلان الا بشق الأنفس . فالحلقات بطيئة والحركة منعدمة وماعليا الا الصبر والسلوان !

والحلقات الأجنبية نعرض علينا ونشاهدها كل ليلة ، ونرى فيها سرعة الحركة ، وسرعة الكلام وسرعة اتخاذ القرار المناسب . ولكن يبدو أن هذه الحلقات التليفزيونية تعكس حياة الأمم التى تنتجها . فالأمريكيون معروفون بسرعة الحركة ، وسرعة الكلام ، بينما نحن العرب ، وخاصة فى دول الخليج ، نتكلم ببطء وتتحرك ببطء ، ولاقيم للزمن وزنا . وهكذا تنتج حلقات تليفزيونية بطيئة الحركة ، ساكنة هامدة ، ونظل ننتظر أياما وليالى طويلة ، لنعرف ماذا يكون من أمر البطل والبطلة اللذين يقضيان وقتا طويلا فى حوار معاد مكرر لايصل الى نتيجة !

والمؤسف فى هذا المسلسل التليفزيونى أنه منسوب الى دستوفسكى . ذلك الكاتب العبقرى الذى أنتج من الروائع الأدبية مالايقدر عليه الا القدرة القادرة من الكتاب فى تاريخ الآداب العالمية كلها . ثم مات وهو لايزال فى ريعان شبابه ، بعد أن كتب خلال سنوات قصيرة عشرات الألوف من الصفحات التى ستظل خالدة على مر الزمان .

ولم يذكر المنتجون لهذا المسلسل من أية قصة لدستوفسكى ، أخذوا هذا العمل التليفزيونى . فقد كان يودى أن أقارن بين الأصل المكتوب والصور التليفزيونية المعروضة علينا . وعلى أية حال ، فليس هذا التخريف والتحوير الخل بجديد على كتاب التليفزيون عندنا . ومن الصعب أن نبحث عن حل لهذه الأزمة . فمن العسير أن نخلق فى زمن قصير مجموعة من الكتاب المتخصصين للانتاج التليفزيونى والسينمائى ، لأن هذا الفن عسير على الكثيرين . وكل مانستطيع أن نأمله ، هو أن يراعى كتابنا ومخرجونا أن مايمكن عرضه فى ساعة واحدة من الزمن ، لايجوز أن يعرض فى عشر ساعات أو أكثر .

وباسم الكثيرين الذين أصبحوا يعودون فى القاهرة الكبرى الى بيوتهم فى منتصف السابعة مساء كل يوم ، ولايجدون أمامهم سوى هذه الشاشة الصغيرة الخطيرة يجلسون أمامها حتى يتركهم النوم ، باسم هؤلاء أرجو أن يبذل

د. نعيم أبو طالب

المشرفون على جهاز التليفزيون قصارى جهدهم لاختيار مايمكن أن ندفع به الملل فى هذه الليالى

الصحف زمانا ومكانا

صحفنا القومية ، تصدر كلها فى القاهرة ، ولكى تصل هذه الصحف إلى الاسكندرية شمالا ، والى اسوان جنوبا ، فهى تحتاج الى ساعات طويلة ، وكم نادى البعض بضرورة اصدار صحف محلية ، كما تفعل سائر البلدان المتقدمة . ماذا لو صدرت صحيفة يومية فى الاسكندرية ، حتى لو اقتصر توزيعها على الثغر وما قاربه من محافظات ، كالبحيرة والغربية وما إليهما . وكذلك ماالذى يمنع من اصدار صحيفة يومية فى أسيوط ، توزع نسخها فى الصعيدين الأقصى والأدنى ، وتهتم بمشاكل البيئة هناك ، بدلا من تحميل صحف القاهرة عبء الاهتمام بالمحافظات النائية فلا تستطيع أن توفيها حقها

كما أنها كفيلة أيضا بالكشف عن المواهب الجديدة التى لاتجد لها مجالا فى صحفنا القومية الآن ، بينما تستطيع فى الصحف الاقليمية أن تظهر وتبرز وتتطور على السطح .

هذا عن توزيع الصحف من حيث المكان . . أما توزيعها من حيث الزمان فهو أمر يدعو الى العجب . فلدينا صحيفة واحدة مسائية ، ولكنها فى الواقع تصدر فى الصباح . ولدينا ثلاث صحف صباحية ، ولكن بعضها يصدر طبعات مبكرة توزع فى المساء السابق ، وخاصة فى القاهرة .

أليس من الأنسب أن تكون الصحف الصباحية صباحية فعلا ، وأن تكون الصحيفة المسائية مسائية حقا ؟ أليس من المعقول والممكن والأفضل أن تصدر صحيفة المساء فى الساعة الخامسة أو السادسة مساء ، وبذلك تستطيع تغطية أنباء النشاط الحكومى والأهلى خلال النهار بطوله ؟

وقد يقال ان توزيعها فى هذه الحالة ، سوف لايكون ميسرا فى أطراف البلاد . ولكن القاهرة الكبرى التى يسكنها الآن قرابة عشرة ملايين ، تستطيع أن تتحمل صحيفة تصدر لهم فى أواخر النهار لاقى أوله ، ولاحاجة لها بعد ذلك الى محاولة الانتشار خارج حدود هذه الدائرة .

ولعل المجلس الأعلى للصحافة ، بعد تفكير ، يهتم بهذا الموضوع ، وأعنى موضوع توزيع الصحف اليومية على الأمكنة والأزمنة المناسبة . ولسوف نرى بعد ذلك بهضة صحفية كبرى ، وتخفيفا عن القاهرة التى تركزت فيها جميع الأنشطة ، واحياء لمواهب كثيرة مدفونة فى شمال الدلتا وجنوب الصعيد ، نريد أن تتنفس فلا تجد لها متنفسا .

وعندى أمل كبير فى أن يبادر الدكتور نعيم أبوطالب محافظ الاسكندرية ، بأن يجرب اصدار صحيفة يومية كبرى فى عاصمته ، وخاصة أن لها برلمانها الذاتى «مستقلا» ، حقق خلال السنوات الكثيرة الماضية نجاحا ملموسا

قفص الاتهام

ليس فى أن أعلق على أية قضية تنظرها المحاكم . فللقضاء استقلاله وقدسيته ، ولنا نحن حدود نقف عندها . ولكنى أعرف أن القانون يقول ان المتهم برئ حتى تثبت ادانته . فلماذا اذن جرى القانون أو العرف على أن يقف المتهم فى احدى الجنايات وراء قضبان قفص الاتهام ؟ لماذا لايقف أمام المحكمة بلا قضبان لحجزه ؟

أقول هذا بمناسبة ما رأيته فى بعض الصحف ، من صور الشقيقات للمهندس أحمد سلطان نائب رئيس الوزراء السابق ، وهو يقف خلف قضبان ذلك القفص . وأنا لا أعرف المهندس سلطان ولايعرفنى ، ولايهمنى فى شئ أن يكون بريئا أو مدانا . كما أنى لاأفرق بينه وبين أى متهم آخر ، مهما يكن وضعه الاجتماعى . فالكل سواء أمام القانون ، لافرق بين كبير وصغير ، وشهير أو نكرة . ولكنى أقول ان وقوف المتهم وراء القضبان فى ساحة المحكمة ، نوع من العقوبة التى لايستحقها متهم لايزال فى دور المحاكمة ، ولم تتحدد بعد براءته أو ادانته . فما الحكمة أو الخير فى هذه القضبان داخل محاكم الجنايات وغيرها ؟ هل تخشى المحكمة أن يأخذ المتهم بعضه ويجرى ؟ ان الحراس كفيلون بأن يوقفوه أمام المحكمة حتى تنتهى من نظر القضية .

ومع أن هذا الأمر غير مقصور على محاكمنا ، فنحن نشاهد فى الأفلام الأجنبية المتهمين يقفون وراء القضبان ، فإنى مازلت أعتقد بأنه من الأفضل أن يترك المتهم حرا بلا قضبان لحجزه عن الآخرين ، حتى تنتهى محاكمته . والقول الفصل فى ذلك لرجال القانون ، الذين لست واحدا منهم .